https://doi.org/10.71311/.v6i2.239

السرد وعلاقته بالخيال العلمي

أشواق محمد سالم القحطاني
باحثة دكتوراه بجامعة الملك خالد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية
ashwaq.mohamed.86@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/4/30 تاريخ قبول البحث 2025/5/5
تاريخ نشر البحث 2025/12/23

ملخص :

تتناول هذا البحث استجلاء مكامن الاختلاف والاندماج بين السرد والخيال العلمي؛ إذ تحاول الباحثة التقصي وراء الواقع الحقيقي والخيالي (الافتراضي) في السرد بوجه عام، وفي الرواية على وجه الخصوص. وقبل الشروع في البحث عن العلاقة بين السرد والخيال العلمي؛ آثرت الباحثة الكشف عن أهم الأسباب والمرتكزات الرئيسة في العلاقة بين هذين المجالين المختلفين (الخيال والعلم).

بدأ البحث يلاحق مفهوم أدب الخيال العلمي، والتمييز بينه وبين أنماط أخرى للتعبير الأدبي، وانطلقت فكرة الدراسة من علاقة السرد بالخيال العلمي في خمسة مباحث. وقد أخضعت الدراسة – للبرهنة على مصداقية فرضياتها- أهم الأعمال السردية في الخيال العلمي بين البيئتين الغربية والعربية، وختمتُ الدراسةَ بخاتمةٍ حوَت إشكالاتِ سرد الخيال العلمي، وأبرزتُ فيها أهمَّ النتائج التي خلصت إليها، ومنها: (1) إتقان التداخل بين مجالين مختلفين (الخيال والعلم) في السرد، وانكشاف البُعد الجمالي والفرضية العلمية، التي نتج عنهما جنس إبداعي يلائم البيئة المتقلبة (سرد الخيال العلمي). (2) قدرة سرد الخيال العلمي على التعبير عن الهم الإنساني في هذا الزمن الرقمي الذي نعيش فيه، وكانت كفيلة بإنتاج موضوعات خاصة تدور حول العديد من أسئلة الحقائق العلمية في واقعنا، والإجابة عن

مجلة
جامعة الهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

تلك التساؤلات. (3) انطلقت فكرة سرد الخيال العلمي لدى كتّاب هذا الصنف من فكرة (التجريب) نحو آفاق مختلفة للتجربة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: السرد، العلاقة، الخيال العلمي، سرد الخيال العلمي، الأسباب، الخصائص، الموضوعات، الاتجاهات، الوظائف.

Narrative and Its Relationship with Science Fiction

By Ashwag Mohamed Al Qahtani
Ph. D. Researcher at King Khalid University, faculty of Arts and Humanities, Department of Arabic Language
ashwaq.mohamed.86@gmail.com

Abstract:

This research examines the points of divergence and convergence between narrative and science fiction. The researcher investigates the interplay between real and imaginary (virtual) reality in narrative in general, and in the novel specifically. Prior to exploring the relationship between narrative and science fiction, the researcher sought to uncover the fundamental reasons and bases underlying the connection between these two distinct fields (imagination/fiction and science).

The research begins by tracing the concept of science fiction literature and distinguishing it from other modes of literary expression. The study's framework is built around the relationship between narrative and science fiction across five main sections. To substantiate its hypotheses, the study analyzed key narrative works in science fiction from both Western and Arab literary environments. The research concludes by addressing the complexities of science fiction narrative and highlights the most significant findings, which include:

(1) Mastering the interplay between two distinct fields (imagination and science) within narrative, revealing both the aesthetic dimension and the scientific hypothesis, has resulted in a creative genre suited to a changing environment (science fiction narrative).

(2)Science fiction narrative demonstrates the capacity to articulate fundamental human concerns in our current digital age, successfully generating distinct themes that revolve around questions of scientific facts in our reality and providing answers to those inquiries.
(3)For writers of this genre, the concept of science fiction narrative originates from the notion of (experimentation), exploring diverse horizons of human experience.

Keywords: Narrative, Relationship, Science Fiction, Science Fiction Narrative, Causes, Characteristics, Themes, Trends, Functions.

مقدمة

السرد جنس أدبي يعرض للمتلقي القصة، وهذه القصة تتابع أحداث لشّخصيّات متعددة ومتنوّعة، ويرتبط السرد في عادته بالصورة الخيالية الذهنية، التي تعدّ إحدى أوليات الحبكة السردية. ويتحوّل **الخيال الذهني إلى خيال علمي** عندما يتحرّر من منطق الواقع والحقيقة، من خلال استراتيجية جديدة مبنيَّة على تقنيات فنية متضمّنة فرضيات علمية.

وقد استدعى العمل الإبداعي العلم بوصفه مادة خامة يصوّغ فيه الأديب أفكاره ورؤاه في قالب أدبي، وهو ما يُسمّى بـ(**الخيال العلمي**)، المرتبط بعصر العلم والتكنولوجيا، وهذا الجنس الإبداعي هو الأقدر على التعبير عن الهمّ الإنساني في هذا العصر الرقمي الذي نعيشه، وجاءت علاقة السرد بالخيال العلمي من خلال المزاوجة بين عنصرين مختلفين تمامًا (الخيال والعلم) في النّص الأدبي.

مشكلة البحث:

ومن الأسباب التي دعت الباحثة إلى تناول موضوع (**السرد وعلاقته بالخيال العلمي**):

أولًا: الكشف عن التداخل بين الخيال والعلم، الذي شُكِّل منه أدب الخيال العلمي.

ثانيًا: استنباط الأسباب وراء ظهور سرد الخيال العلمي.

ثالثًا: الكشف عن مكنونات سرد الخيال العلمي من خلال مضامين ومجالات اشتغاله.

تساؤلات البحث:

- كيف استطاع السارد أو الراوي كتابة الخيال العلمي في الرواية؟

-ما موضوعات سرد الخيال العلمي؟ وما خصائصها؟

- كيف وظّف السرد الخيال العلمي؟ وهل نجحت هذه التقنية في التأثير على المتلقي؟

ولما كانت هذه الدراسة تبحث عن العلاقة بين السرد والخيال العلمي؛ فقد جعَلتِ الباحثةُ اشتغالها اشتغالًا بينيًّا في **الحقل البيّني**، الذي يرتكز على البحث في علاقة الظاهرة النقدية المدروسة.

أهمية دراسة الموضوع:

يستمد عنوان البحث (**السرد وعلاقته بالخيال العلمي**) أهميته في حداثتهِ وشموليته من مفهومين مختلفين (الخيال والعلم)، واضطلاعهما بتمثيل مصطلح (أدب الخيال العلمي)، والبحث في روافده التاريخية، ومضامينه، وخصائصه، ومجالاته التي تعمل الباحثة على دراستها لفرضية بحثية، وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال إشكالية ربط الخيال بمعطيات العلم في السرد بوجه عام، وفي الرواية بوجه خاص، ومدى مساهمة نظرة الإنسان للحياة والكون، ودور الخيال في تقدّم المعرفة العلمية، والبُعد الجمالي في العلم، ممثّلًا في ميدان أدب الخيال العلمي.

وأمر آخر تجدر الإشارة إليه هو الصعوبات التي واجهتني فلا يخلو أيُّ عمل من صعوباتٍ، يأتي في مقدمتها: تعالق موضوع السرد بالخيال العلمي، وبحقول كثيرة كالفانتاستيك، والغرائبي، والعجائبي، واليوتوبيا، وتعدد الآراء والمصطلحات التي تناولت مفهوم أدب الخيال العلمي، بوصفه جنسًا أدبيًّا. ولأن موضوعها متعلّق أيضًا بالفرضيات العلمية، وتدخل ضمن صعوباته: قلة المصادر العربية المتخصّصة في أدب الخيال العلمي.

أهداف البحث:

1- الكشف عن آليات التداخل بين السرد والخيال العلمي.

2-الوقوف على خصائص أدب الخيال العلمي وموضوعاته.

3-كيفية توظيف أدب الخيال العلمي، واستيعاب العمل الإبداعي للتقنية الجمالية والفرضية العلمية معًا.

الدراسات السابقة:

تُشير مراجعة الباحثة للدراسات السابقة غياب دراسات تناولت موضوع البحث الحالي. وقد تناول (**أدب الخيال العلمي**) عديدٌ من الدراسات السابقة التي ألمَّت بجوانب مختلفة ولم تُسلّط كثيرًا من الضوء على موضوع البحث، ومن تلك الدراسات حسب اطلاعي:

- **(أدب الخيال العلمي بين القيمتين الفنية والعلمية)**، للدكتورة شيرين سعيد السيد الباجوري عام 2024م[1]، تهدف هذه الورقة العلمية إلى توضيح الكيفية التي يجمع فيها الأدب بين البعدين العلمي والخيالي، من خلال اعتماده في بنيته السردية على معطيات حقائق علمية أو متخيلة، بالإضافة إلى استكشاف علاقته بكل من القيمتين الفنية والعلمية هذا من الجانب النظري، وقد أخضعت هذه الدراسة للبرهنة والتطبيق من خلال ثلاث روايات لمصطفى محمود، وركّزت على البناء الروائي، والأبعاد الجمالية.

-(**تجلي أدب الهامش في السرد الجزائري: دراسة في رواية الخيال العلمي– أمين العلواني لفيصل الأحمر أنموذجًا)** للباحثتين أميرة عرامة، وإيمان جريبة، عام 2023م[2]؛ حيث ركزت هذه الورقة العلمية على السرد باعتباره أداة للتعبير عن التطلعات المستقبلية، وتجليات الخيال العلمي في الأدب الجزائري.

-**(الخيال العلمي في الأدب رواية "أمين العلواني" لـ :فيصل الأحمر أنموذجًا)**، للأستاذة نهاد خلوف، عام 2021م[3]، تناولت هذه الورقة العلمية رواية "أمين العلواني" للكاتب فيصل الأحمر كأنموذج لأدب الخيال العلمي في الأدب العربي، وتُشير إلى انتماء رواية الخيال العلمي للأدب التجريبي، ومعالجتها لقضية التهميش.

-(**آليات السرد في رواية الخيال العلمي لأمين العلواني)**، للباحثة فاطمة الزهراء رزاق لبزة، عام 2020م[4]، وهي دراسة محكمة تتناول الرواية كجنس جديد من الإبداع السردي، وتشرح كيف يستثمر الخيال العلمي آليات السرد في طرح قضايا المستقبل والتطور التكنولوجي.

([1]) يُنظر: المجلة العلمية بكلية الآداب، العدد 55 أبريل 2024م، ص2554-2585.

([2])يُنظر: مجلة النّاص، جامعة جيجل، مجلد 18، العدد34 ديسمبر 2023م، ص32-42.

([3]) يُنظر: مجلة ريحان، العدد الثاني عشر، 2021/7/7م، ص130-147.

[4]. يُنظر: رابطة الأدب الحديث، مجلد135، نوفمبر 2020م، ص265-280.

- (**خرائط العوالم الممكنة في الاقتراب من الخيال العلمي العربي**)، للدكتور فيصل الأحمر، عام 2019م، حيث أسهم ثلاثون كاتبًا وباحثًا في هذا الكتاب، الذي تناول التجربة العربية في أدب الخيال العلمي، ويعدّ مشروعًا جمعيًّا بطابع النقد الأدبي، وموضوعه الخيال العلمي من وجهة نظر علمي عربي.

-(**مجاز العلم: دراسات في أدب الخيال العلمي**) أ.د. سمر الديوب، عام 2015م؛ إذ سعت الكاتبة إلى قراءة الأدب برؤية مختلفة، منطلقة من جملة فرضيات، منها: أن بلاغة العلم تقابل بلاغة الأدب، وأن الخيال هو الذي يصنع العلم، وأن المجاز طريقة التفكير، وقد تناولت الذائقة العربية وقلة اهتمامها بهذا المجال، وذيّلت كتابها بالجانب التطبيقي عددًا من الأعمال الأدبية.

-(**الخيال العلمي: أدب القرن العشرين**)، لمحمود قاسم، عام 1993م، وقد تناول نشأة هذا الأدب والتعريف به، والمدارس التي ارتبطت به، واقتفى أثر الأنواع الأدبية التي انبثقت عنه، وبيّن أهم سمات المرحلة الكلاسيكية التي شغف الأديب بها وهو (أدب الرحلات)، وأن أدب الخيال السياسي تجلى في رواية جورج أورويل عام 1984م. ويذكر في حديثه أن الفنتازيا العلمية تعني صناعة الشيء الخفي، وأشهر من قدّم في هذا الصدد- بحسب رؤية الكاتب (محمود قاسم)- فرانتز كافكا بعنوان (مسخ الكائنات)، ثُمّ ختم كتابه بالحديث عن أدب الخيال العلمي في الأدب العربي وعلاقتِهِ بالسينما.

ويلاحظ أن هذه الدراسات السابقة ركّزت على زوايا معينة، وفق ما تتطلبه أطروحاتها العلمية، وما تمليه ضرورة الاستشهاد والتمثيل، ولم تكن هناك دراسة متخصّصة من زاوية اشتغال هذه الدراسة.

خطة البحث:

- **المقدمة**: تتضمّن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، وتساؤلاته، ثُمّ الخطة المتبعة في ذلك.
- **التمهيد**: يتناول تحديد مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها، وأهداف سرد الخيال العلمي، وأهميته، وأسباب ظهوره.

- **المبحث الأول: روافد السرد العلمي**: حيث تناول الروافد التي أسهمت في تقديم سرد الخيال العلمي من خلال المنظور التاريخي، وهي على محاور ثلاثة: (الرافد الديني، والرافد الأسطوري، والرافد الطوبائي).
- **المبحث الثاني: موضوعات سرد الخيال العلمي**: وتناول المضامين التي ميّزت الخيال العلمي عن الأجناس الأدبية الأخرى من خلال موضوعاتها.
- **المبحث الثالث: خصائص سرد الخيال العلمي**: وقد استعرضت الباحثة فيه آليات اشتغالها في العمل الأدبي.
- **المبحث الرابع: مجالات الخيال العلمي في السرد**: تناول تعمل الخيال العلمي مع السرد، وكيف صاغه من خلال **اتجاهات** الخيال العلمي في السرد، ووقفت على أهم **الوظائف** في سرد الخيال العلمي.
- **المبحث الخامس: أعمال سردية في الخيال العلمي**: حيث استعرض أهم الأعمال السردية بين البيئتين الغربية والعربية.
- **الخاتمة**: لخّصت أهم ما ورد في الدراسة الحالية، ثم استعرضت النتائج. وأنهيت البحث بوضع ثبت **للمصادر والمراجع**.

التمهيد

ظهر سرد الخيال العلمي في القرن العشرين، وجاء نتيجة لمواكبة الإنسان للتقدّم العلمي والتقني، حيث يزاوج هذا النوع الأدبي بين مجالين مختلفين وهما (العلم والخيال)، ويرى الأدباء والنقاد أن مفهوم (**أدب الخيال العلمي**) لم يُصل فيه إلى تعريف ثابت، أو الإحاطة بمفهوم شافٍ؛ نظرًا لكثرة التعاريف وتنوّع المنطلقات، وقبل البدء في معطيات الدراسة حري بالباحثة أن تضبطَ المفاهيمَ والمصطلحاتِ الخاصةَ بعنوانها على النحو الآتي:

أ- تعريف مصطلحات الدراسة:

يصعب على الباحث في ميدان النقد والأدب إيجاد مفهوم أو تعريف محدد للسرد؛ لأن معنى السرد يتسع لدلالاتٍ مختلفة، وتعود نشأة السرد بمفهومه الحديث إلى مجال النقد الغربي، أمّا في مجال النقد العربي المعاصر فجاء نقلًا عن المفهوم الغربي، وليس امتدادًا إلى معناه في

التراث العربي، وستبدأ الباحثة بتحليل معنى السرد بشكل عام؛ لضبط مفهوم عنوان الدراسة (**السرد وعلاقتهِ بالخيال العلمي**).

أولًا: مفهوم السرد (Narratologe/ Narrative):

أ- السرد في اللغة:

امتلأت المعاجم اللغوية **العربية** (القديمة والحديثة) بتعريف مفهوم السرد، وجاءت بدلالات متعددة، فقد ورد مفهوم السرد في (موسوعة السرد العربي) لعبد الله إبراهيم، الذي انطلق من **الدلالة الحسية** في أصله اللغوي (سَرْدُ الدرعِ): نسيجها، وتعني الدّرع المحكمة النسج المتداخلة الحلق، أمّا **الدلالة المعنوية**، فهي من سرد الكلام، ويعني في مصدره السَّرْدُ: سياقة الكلام ونسقُهُ، ويُقصد السَّرْدُ من الكلام ويُعْنى بصفته: هو المتَّسق المتتابع دون انقطاع، وسرد الكتاب ونحوه: تأليفُهُ وتماسك أجزائهِ، وسرد القرآن: قراءتهُ في اتصال وحدر[1].

وجاء في (لسان العرب) عند (ابن منظور) في مادة (س رد) أنه "تقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متسقًا بعضه في إثر بعض متتابعًا، وسرد الحديث ونحوه يسرده سردًا، وفلان يسرد الحديث سردًا: إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه"[2].

والخلاصة أن دلالة السرد في اللغة العربية تدور حول نسج الكلام، وتتابع أجزائه في تناسق وترابط، وحسن تأليف هذا الكلام بأسلوب رصين، وسياق جيد.

وقد دلّ السرد في المعاجم **الغربية** – خاصة الفرنسية- على فعل القصّ، وفعل إنتاج القصة، حيث يعرّفه معجم أكسفورد بالآتي: الفعل بمعنى يسرد[3]، والسرد عملية مستمرة في الوجود الإنساني وقد عرّفه جيرالد برنس Geral) Prince) بقوله: "إن السرد أو الحكي ظاهرة إنسانية تضرب جذورها في عمق التاريخ البشري"[4].

([1]) يُنظر: مادة سرد. https://www.dohadictionary.org/dictionaryl .

([2]) مج3، مادة (س رد)، دار صادر، بيروت، د.ط، ص273.

([3])The New Oxford: Judi pearsall, oxford University, press, 1999:pp1231-1232.

([4]) المصطلح السردي:5.

وجاءت دلالات السرد متقاربة مع اختلاف الرؤى والثقافة، ومن أوائل من تطرقوا إلى مفهوم السرد جيرار جينيت (Ge'rard Genette)، حيث صاغ "اسم السرد على الفعل السردي المنتج، وبالتوسع على مجموع الوضع الحقيقي أو التخييلي الذي يحدث فيه ذلك"[1]. وممن تناول السرد أيضًا يان مانفريد (Yann Manfred)، الذي يعرّفه بأنه: "أي شيء يحكى أو يعرض القصة، سواء أكان نصًّا أم صورة، أم أداة، أم خليطًا من ذلك. وعليه، فإن الروايات والأفلام والرسوم الهزلية...إلخ هي سرديات"[2].

وتخلص الباحثة مما تقدّم إلى أنَّ السرد في معناه اللغوي الغربي: هو فعل لا يحكمه نظام محدد أو شكل مقيّد، وليس له زمان أو مكان معين، ولا يقتصر على الحديث أو الخطاب فقط؛ بل له أشكال مختلفة غير محصورة بشكل معين كالحديث. كما أن السرد يأخذ خصائصه من المحيط الذي ينشأ فيه.

ب- السرد في الاصطلاح:

ومصطلح السرد من المصطلحات النقدية التي شغلت العديد من الباحثين والدارسين؛ لأهميته في الدراسات النقدية، وقد اختلفت مفاهيمه وتعددت باختلاف الآراء والنظريات الفكرية، حيث اشتغلت الدراسات العربية والغربية في مجال السَّرد بكثرة، وأصبح هذا المجال أكثر سعةً؛ فكان لا بد من قواعد وقوانين لتنظيم الأشكال السردية وتصنيفها؛ وهذا ما أسهم في نشأة علم (السرديات)(Narratology) .

مصطلح علم السرد أو السرديات (Narratology) من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيوية، وهدفه توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص السردية، ليشمل الجوانب النظرية والتطبيقية في دراسة منهجية للسرد وبنيته[3].

([1]) خطاب الحكاية: 39.

([2]) علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد: 51.

([3])علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد:7.

ويُثير مصطلح السرد جدلًا كبيرًا للاختلاف حول مفهومه من قِبل النقاد العرب والغربيين على حد سواء؛ بسبب ما يتنازعه من مجالات متنوعة، فهم من بين "أكثر المصطلحات القصصية إثارة للجدل"[1]. ويُلاحظ الكردي أن الحدود الاصطلاحية للمفهوم ذابت في المجالات الكثيرة التي أُستخدمت فيه، فلا ندري أين نبتدئ وأين ينتهي؛ "لذلك يطلق كثير من الباحثين مصطلح (السرد)، بوصفه مرادفًا لمصطلح (القص)، ومصطلح (الحكي)، ومصطلح (الخطاب)[2]؛ وهذا ما جعل تحديد حدود المصطلح صعبًا.

والسرد وليد العصر الحديث، وهو أكثر دقة من الأشكال السردية التي عرفتها الأمم والمجتمعات منذ القدم، ويُشير السرد إلى الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي ليقدّم بها الحدث إلى المتلقي[3].

وهناك تعريفات متعددة الرؤية أهمها – من وجهة نظر الباحثة– تعريف يان مانفريد (Yann Manfred) بأنه: "هو نظرية البنائيات السردية "المستوحاة من البنيوية"؛ لفحص بناء سردي، أو لعرض وصف بنائي، يقوم عالم السرد بتحليل ظاهرة السرد إلى الأجزاء المكوّنة لها، ثم يحاول أن يحدّد الوظائف والعلاقات"[4].

ويعرّف عبد الله إبراهيم السرد بأنه: "العلم الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي: أسلوبًا وبناءً ودلالة"[5]، ولا يبعد تصورُ الباحثة **لمفهوم السرد** (Narratology) **كثيرًا** عن تصور الناقد **عبد الله إبراهيم**، الذي يرجع استعمال مصطلح السرد إلى أنه: العلم الذي يهتم بالخطاب السردي في أسلوبه وبنائه ودلالته في دراسة الظاهرة النقدية.

وبعد إيراد بعض تعريفات النقاد والباحثين الغرب والعرب لمفهوم **السرد**، وجب تحديد مفهوم **الخيال العلمي**، وترى الباحثةُ أن السرد يتداخل مع أنماط التعبير الأدبي، وقد أتت لفظة

([1]) السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجًا) :105.

([2]) المرجع السابق: 105.

([3]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص:275.

([4]) علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد: 51.

([5]) يُنظر: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي:17.

العلاقة من الترابط والتفاعل والاتصال، كما ورد في (المعجم الوسيط) "أنشبه فيه. والشيء بالشيء علّقه به...جعل له علاقةً يُعلّق بها"[1]. ولعلّ التطورات العلمية والاكتشافات والاختراعات التي تتحلّق في البيئة مهّدت لأدب جديد يُسمّى بـ"**أدب الخيال العلمي**" (Science Fiction)، الذي أُبدع عن طريق المزاوجة: أي قوة العلاقة بين السرد والخيال العلمي.

ثانيًا: مفهوم الخيال العلمي (Science Fiction):

لما تطورت العلوم والتكنولوجيا الحديثة في القرن التاسع عشر، وتشابكَ الأدب معها؛ برز نوع جديد من الإبداع الأدبي، ألا وهو أدب الخيال العلمي مع مطلع القرن العشرين، وهو فن يحمل الأفكار، وتأمل الخيال على أجنحة العلم؛ بهدف تصوير المستقبل الممكن في قالب إبداعي يتسم بالغرابة والغموض.

وعلاقة الخيال العلمي بالسّرد تبدو معقدةً وغيرَ واضحة في سياقها النظري العام؛ لأن الخيال العلمي يطرح افتراضات واحتمالات واجتهادات وآراءَ نظرية تتسم بالضبابية وعدم الوضوح، وتحتاج إلى براهين. ويُعاني أدب الخيال العلمي من تداخله مع أنماط التعبير الأدبي التي تُسمّى بـ(الخيال التأملي)[2]، كالفانتاستيك، والغرائبي، والعجائبي، واليوتوبيا.

والاشتغال في تحديد مفهوم دقيق لأدب الخيال العلمي من المهام الشاقة التي تقع على عاتق الباحثين؛ لتمييز قوة العلاقة بين الخيال العلمي والفن الأدبي حول المستقبل. وجدير بالباحثة ضبطَ مفهوم (**الخيال العلمي**)، بحيث لا يختلط معه مصطلح آخر، أو نوع يشبهه في خصيصة من خصائصه؛ حتى يسيرَ معنى المفهوم نحو الاتجاه الصحيح، وبيان الروابط الخفية بين (الخيال والعلم) على النحو الآتي:

([1]) مكتبة الشروق الدولية- مصر، ط1425،1هـ-2004م، مادة (علق)، ص622.

([2]) **الخيال التأملي**: "مصطلح يُطلق على الروايات الخيالية التي تتضمّن أحداثها تشييد عوالم تختلف عن عالمنا في نواحٍ جوهرية، وتشمل هذه الفئة: الخيال العلمي والفانتازيا وقصص الرعب وبعض أشكال من قصص الحب". يُراجع: المرجع في روايات الخيال العلمي:11.

أولًا: مفهوم الخيال:

يسعى الإنسان إلى تفسير الغامض من مظاهر الكون وظواهره من خلال قوة العقل التي تصوّغ الخيال، ويُعدّ أحد القوى الخفية التي تكمُن في ذهن الإنسان، ويُنتج الخيال الصورة الذهنية التي تتفاعل مع المدركات الحسية والنفسية، حيث يخلق ما هو جديد وغير مألوف عن الواقع.

ويُعرّف الخيال بأنّه: "القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحواس، وقد يوجد ما تكوّنه هذه القدرة من صور في مكان ما من عالم الواقع، أو قد ينتمي إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد يعلو على ذلك كله دون أن ينتمي لفترة محددة أو يرتبط بعالم واقعي محدد"[1]. ويكون "مجال هذا الخيال هو ما فوق الطبيعي"[2].

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن الخيال عملية إدراكية وحسية، يستطيع الكائن الإنساني من خلال قدرته العقلية أن ينتج هذه العملية في تصويره لصورة ذهنية جديدة مختلفة عن الواقع، وكذلك خلق إنتاج وإبداع جديد غير مألوف.

ثانيًا: مفهوم العلم:

يرتبط مفهوم (العلم) بفهم الإنسان ومعرفته بالظواهر البيئية المحيطة به، وقد اختص به الإنسان عن سائر المخلوقات في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾﴾[سورة العلق، آية (5)]. وهناك من عرّفه بأنه: "مجموعة من الحقائق المنسّقة المتصلة بجانب الكون، أو منحى من الشؤون الإنسانية، وهي خاضعة لنظام من النواميس العامة، والقواعد الخاصة. وغرض العلم المعرفة من أجل الانتفاع بالصواب، والاحتراس من أضرار الخطأ، وسيلته البحث والاختبار، والقياس والاستدلال"[3].

([1]) الخيال أسلوب الحداثة: 9.

([2]) المرجع السابق، 11.

([3]) سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر: دراسة تقليدية:39.

والعلم محصلة بحث الإنسان، وهو مجموعة من القواعد والقوانين والحقائق المتصلة بالواقع، التي نشأت عن طريق البحث والاستدلال والقياس والملاحظة والاختبار؛ ليصل الإنسان إلى المعرفة والفهم، بحيث تكون مصاغة بأسلوب منهجي، وموظّفة بشكل صحيح يمكنه الاستفادة منها في دراساته المعرفية ومؤلفاته العلمية.

واستخلاصًا لما سبق؛ يُلاحظ أن الخيال عملية فطرية تختص بالقوى الإنسانية (الإدراكية والحسية)؛ لتنتج صورة ذهنية جديدة خارجة عن المألوف، بينما العلم هو محصلة للبحث الإنساني المكتسب، من قواعد وقوانين وحقائق متصلة بالواقع، يستند فيه على قوة الفهم والمعرفة بوسائل متنوعة كالملاحظة والقياس...إلخ؛ للوصول إلى البراهين والأدلة الصحيحة، التي تعود على الإنسان بالفائدة والمتعة.

ثالثًا: الخيال العلمي:

يشتهر الخيال العلمي بأنه مجال صعب التعريف، وقد فُسِّر على وجوه مختلفة، فتارةً يعدّ مزيجًا من الرومانسية والعلم والتنبؤ (هوجو جيرنسباك)، وتارة يعدّ "تخمينًا واقعيًا لأحداث مستقبلية" (روبرت هاينلاين)، وتارةً يعدّ نوعًا من الأدب القصصي العجائبي، وسُمِّي أيضًا أدبًا تاريخيًّا[1]. ويُعرّف روجر لو كهيرست (Roger LeKhurst) الخيال العلمي بأنه: "أدب المجتمعات المُشبعة تكنولوجيًّا"[2]. ويحدّد (معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب) مفهوم الخيال العلمي بأنّه: ذلك النوع من الأدب الروائي الذي يُعَالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدّم في العلوم والتكنولوجيا سواء في المستقبل القريب أو البعيد. كما يجد تأملات الإنسان في احتمالات وجود حياة في الأجرام السماوية الأخرى، ويصوّر ما يمكن أن يتوقّع من أساليب الحياة على وجه كوكبنا هذا بعد تقدّم بالغ في مستوى العلوم

([1])الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا:7

([2]) المرجع السابق: 49.

والتكنولوجيا، وله القدرة على أن يكون قناعًا للهجاء السياسي من ناحية، وللتأمل في أسرار الحياة والإلهيات من ناحية أخرى[1].

ومفهوم **أدب الخيال العلمي في مسار الدراسة الحالية** يُعرّف بأنّه: "طائفة من الأدب تنتمي إلى عالم يختلف عن عالمنا، ويختلف في الطرائق التي تدعو القارئ إلى تساؤلات عسيرة عن ماهية هذه الاختلافات، وما عساها أن تخبرنا به هذه القصص عن عالمنا"[2]. وهو ذلك "الأدب الذي يترجم المكتشفات والمخترعات والتطورات التي ظهرت أو القريبة الظهور أو المحتمل البعيد إلى مشاكل إنسانية أو مغامرات درامية"[3].

ويعتبر سرد الخيال العلمي عند الباحثة مكاشفة بين العلم والمتعة، يتناول عالمًا جديدًا يختلف عن العوالم المألوفة، ويستشرف من خلاله مستقبلًا يمكن أن يغير مسار حياة البشر.

ب – أهداف سرد الخيال العلمي:

1- تصوير المستقبل الممكن: تقديم تصورات واقعية عن مستقبل محتمل، وليس مجرد تنبؤ بالمستقبل، من خلال دمج الحقائق العلمية مع الأفكار الاجتماعية الناتجة عن التصرفات البشرية أو المُتغيّرات البيئية.

2- توفير إطار واقعي للإجابة عن التساؤلات الإنسانية: معالجة أسئلة عميقة حول الكون، حقائق الواقع، وتأثير الثورة الصناعية والتقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والروبوتات.

3- التطلّع إلى العوالم الأخرى: استكشاف عوالم غير مألوفة عبر قوانين فيزيائية وبيولوجية وفلسفية، مما يوسع آفاق التفكير البشري.

([1]) وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، مكتبة لبنان- بيروت، ط2، 1984م، ص187.

([2]) المرجع في روايات الخيال العلمي: 12.

([3])خرائط العوالم الممكنة في الاقتراب من الخيال العلمي العربي:137.

4-إثارة كثرة التساؤلات حول الظواهر الطبيعية والكونية: تحفيز التفكير في أسباب الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين، ودور التغيرات البيئية، وإسهامات علم الفلك في فهم الكون والمجموعة الشمسية والعوالم غير المرئية.

5- تقديم إجابات فنية مشوقة: الإجابة عن تساؤلات الفكر الإنساني بطريقة فنية مشوقة، تدفع القارئ للتفكير في المستقبل الممكن وليس فقط المستقبل الكائن.

ج- أهمية سرد الخيال العلمي:

سرد الخيال العلمي ما هو إلا تصوير للظاهرة الإنسانية، ونظرتها للحياة والكون، وهو الأقدر على التعبير عن هموم المجتمع الإنساني في العصر التكنولوجي (الرقمي) الذي نعيش فيه.

والخيال العلمي بمنزلة الطريق الوعر الذي يقف عليه الكاتب ليربط بين التكنولوجيا والفكر البشري، وبين العلم والخيال، وبين التقنين والفن. ويقف الكاتب في نصوصه السردية بين ما هو مجهول في أعماق الكون والمستقبل، وما هو محسوس من التصرّفات البشرية والتغيرات البيئية، كالتلوث والكوارث وغيره. ومهمة الكاتب في أدب الخيال العلمي كيف يمكن أن ينقل القصص الإنسانية من خلال الحضارات في العوالم المختلفة التي تنشأ في المستقبل الممكن، وما مدى تأثير هذه القصص العلمية في الإنسان.

د- أسباب ظهور الخيال العلمي في السرد:

وصل فهم الخيال العلمي إلى حد التناقض، فهناك من يرى أنه شكل من أشكال التفكير الإنساني، وهو قديم قدم البشرية، مرتبط بالأساطير إلى حد كبير. وهناك من يرى أنه أدب الثورة الصناعية الأوروبية، التي ظهرت في القرن العشرين مرتبطة بالتكنولوجيا والتقدم العلمي، وكانت بوادره مع انقلاب الكنيسة، فقد اختلف النقاد في تحديد الأسباب التي أدت إلى ظهور (**سرد الخيال العلمي**). وإذا تقصينا أسباب هذا اللون الأدبي، وجدناه - من خلال رؤية الباحثة مع التماس لأفكار الباحثة فاطمة بي معزة- ينقسم إلى سببين رئيسين، وهما[1]:

([1]) يُنظر: أدب الخيال العلمي ملابسات النشأة: 371-376.

أولًا: أسباب حقيقية: هذه الأسباب نوع أو شكل من أشكال التفكير الإنساني، وهو **(الخيال)**، ويعدّ الركيزة الأساسية التي تتكئ عليها الإبداعات الإنسانية، وهو إحدى الوظائف الأساسية للعقل، الذي يستطيع تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحواس، كما يقول آينشتاين: الخيال أهم من المعرفة، ولولا الخيال كيف استطاع أفلاطون أن يرسم ملامح مدينته الفاضلة، التي تتميّز بالأخلاق والعلم.

ومن زاوية أخرى، يتضح أن **"الحاجة"** تعدّ الدافع الرئيس للإنسان لاستعمال خياله في إيجاد الحلول المناسبة لإشباع هذه الحاجات، وتُعرّف الحاجة بأنها: ذلك الشعور بالحرمان الذي يلحّ على الفرد؛ فيدفعه إلى القيام بما يساعده على القضاء على هذا الشعور لإشباع حاجاته؛ لذلك قد يشترك البشر في حاجات معينة، ويختلفون في أخرى، كما تختلف حاجات عصر عن عصر آخر، فحاجات الأمس ليست هي حاجات اليوم، وليست هي حاجات الغد.

ثانيًا: أسباب علمية:

من أهم هذه الأسباب **(النهضة الأوروبية)**، التي أحدثت انقلابًا كبيرًا على كل المستويات، بحيث تعدّ مرحلة انتقالية بين العصور المظلمة أو ما يُطلق عليها العصور الوسطى، أو عصر التنوير؛ إذ تحررت أوروبا من ربقة الكنيسة، ونمت الروح الفردية، وقد شملت هذه النهضة عدة مجالات فكرية وفنية وأدبية، ولعل أبرز ما تمخّضت عنها النهضة دخول أوروبا عصر التصنيع، أو ما يُسمّى بعصر الآلة.

وفي القرن التاسع عشر في أثناء الثورة الصناعية غيّر العلم والتكنولوجيا المجتمع، وتأثرت الحياة الإنسانية، وأصبح **"التقدم العلمي"**، و**"التقدم التقني والتكنولوجيا"** من الأسباب التي ساعدت على أخذ أدب الخيال العلمي لشكله الحالي، فقد دفعت النقاد والمفكّرين إلى استقراء الأثر المستقبلي للتكنولوجيا، وبدأت مواضيع الخاصة بالخيال العلمي في القرن العشرين.

أدت نظريات التطور والنسبية، إلى جانب تطورات علوم الإدراك والاتصال وعلم الوراثة، إلى إعادة صياغة الفهم الكوني للإنسان، كما وسّعت هذه الثورة من آفاق التفكير وأساليب التنظيم الاجتماعي، وأعادت تشكيل العلاقات البينية بين الإنسان والطبيعة والمجتمع..

وخلاصة القول: أن هذه الأسباب الحقيقة المرتبطة بخيال الفكر الإنساني وحاجاته، والأسباب العلمية بتنوّعها واختلافها؛ ساعدت على ازدهار هذا النوع الأدبي، ولعلّ أهمية هذه الأسباب تكمن في اكتساب السرد جنسيته (**الخيال العلمي**)؛ فقد أصبح له مواضيعه وقضاياه التي يعالجها، في محاولة منه القفز من الواقع إلى ما فوق الطبيعي.

المبحث الأول: روافد السرد العلمي

يعود أصل الخيال العلمي في السرد إلى جذور عميقة في التاريخ البشري؛ إذ يُشكّل جسرًا بين الحقائق العلمية ووعي المتلقي، عبر روافد متعددة تجمع بين الحلم الإنساني وتطوّر العلم، مما يعزز فعاليته في إيصال المعرفة.

ويعتبر "الخيال في جوهره سجل لقدرة الإنسان الإبداعية التي تطورت عبر التاريخ، وهو حجر زاوية في النشاط البشري، وهو الذي مكّن الإنسان من غزو العالم واستكشافه وفهمه ومحاولة السيطرة عليه"[1].

وتُعد روافد السرد العلمي مصادر متنوعة تثري النص بأفكار وحقائق وطرق عرض متعددة. وتختلف وجهات النظر حول مفهوم سرد الخيال العلمي، ويعود ذلك إلى تنوع جذوره وبداياته. ويمكن إجمال أبرز الأصول أو الروافد التي رسّخت العلاقة بين السرد والخيال العلمي في محاور التالية:

أ – الرافد الديني:

يعُدُّ الرافد الديني من بين الروافد المؤسِّسة لأدب الخيال العلمي من المنظور التاريخي؛ حيث تتيح القصص الدينية الواردة في القرآن الكريم فرصة للباحثين في مجال أدب الخيال العلمي للوقوف على ملامح تأصيلية مبكرة لهذا الأدب. ذلك أن بعض القصص القرآنية

([1]) الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي:22.

تضم عناصر خيالية أو فوق طبيعية، ويمكن قراءتها من زاوية تتيح رصد تشابهات بينها وبين مفاهيم وأساليب الخيال العلمي، كالحديث عن المخلوقات غير المرئية، أو السفر عبر الزمن، أو التطورات الكونية المذهلة، وعلى سبيل المثال: يُنظر إلى سقوط آدم من الجنة على أنها رحلة عبر الزمن، ويُعدّ الطوفان العظيم تجسيدًا لفكرة فناء البشرية وإعادة نشوئها، بينما طرد الشياطين من السماء إلى الأرض تصويرًا رمزيًا لرحلات الفضاء. كما يمكن تفسير بعض المعجزات مثل تحول عصا موسى إلى أفعى في إطار مفهوم الاستنساخ أو التحول البيولوجي.

ومع ذلك، فإن هذا التمثيل لا يهدف إلى المساس بقدسية النص القرآني، أو تحويله عن مقاصده الأصلية في الهداية والتربية، بل هو مجرد محاولة لرصد أوجه التشابه من منظور أكاديمي، دون إسقاط مفاهيم حديثة على النص الديني أو الخروج به عن سياقه الأصلي. وفي هذا السياق، تحفظت الباحثة على إدراج الرافد ضمن المصادر الأساسية لأدب الخيال العلمي، حرصًا منها على تنزيه المصادر الدينية وتقديرها، واقتصار دورها على النمذجة والتمثيل دون أن تكون مصدرًا رئيسًا يُستند إليه في تأصيل أدب الخيال العلمي.

وبهذا، فإن هذا المقترح يفتح الباب أمام إمكانية دراسة التشابهات بين بعض عناصر القصص الدينية ومفاهيم الخيال العلمي، مع التأكيد على الحفاظ على قدسية النص الديني وعدم الخلط بين المجالين، أو استغلال النص الديني لأغراض أدبية أو علمية بحته دون مراعاة سياقة وأهدافه الأساسية.

ب– الرافد الأسطوري:

تعدّ الأسطورة بذرة أدب الخيال العلمي، وتمثّلت في حكاية (**ألف ليلة وليلة**)، التي تمتلئ بالأساطير، وكذلك (**ملحمة جلجامش السومرية**)، كما تتضمّن الملحمة الأسطورية الهندوسية القديمة (**ماهابهاراتا**) جزءًا من الخيال العلمي، حيث تُشكّل الميثولوجيا الهندوسية، وتشير الباحثة إلى أعمال الكاتب اليوناني (**لوسيان**) في أدب السفر إلى الفضاء الخارجي، ولعله النموذج الأقدم للخيال العلمي.

وفي الميثولوجيا الإغريقية أساطير كثيرة متكررة تتحدّث عن فكرة السقوط من قمة عالية إلى هاوية عميقة، ففي **أسطورة أوديب**، كان أبو الهول يعاقب العاجزين عن حلّ اللغز، بأن يُلقى بهم من فوق جرف صخري. ومن زاوية أخرى في الرافد الأسطوري، فقد كانت المياه تصعد إلى شفتي (**تانتالوس**) المحكوم عليه بالعطش الأبدي، ثم تغيض وتهبط قبل أن يتمكّن من رشف قطرة واحدة منها. وهناك إشارات علمية لدى اقتراب (**إيكاروس**) من الشمس، التي أذابت أشعتها الشمع الذي كان يربط جناحيه معًا، فسقط من حالق ولقي حتفه، ولهذا الحدث أمر مماثل في التراث العربي والإسلامي لدى (**عباس بن فرناس**)[1].

ومن الدلالات المتنوعة أيضًا عن الخيال عبر التاريخ والثقافات الإنسانية، ولع (**نيوتن**) بالتفاح المتساقط، والقمر الذي لا يسقط، وهكذا كانت الجاذبية محاطة بالغموض والسرية، وتساؤل الإغريق عمن يمسك العالم قائمًا، واعتقدوا من خلال أساطيرهم أن العالم يقف أو يستند إلى أكتاف (**أطلس**)؛ ولكنهم لم يستطيعوا أن يقدّموا إجابة مقنعة للتساؤل القائل: وإلى من يستند أطلس نفسه؟ وهكذا كانت التفسيرات القديمة حول الجاذبية تقدّم من خلال إطار سحري وسياق أسطوري[2].

واستنادًا إلى ما سبق؛ فإن أول من حاول أن يقدّم تفسيرًا ماديًّا حول ظاهرة الجاذبية هو (**طاليس**)، حين قال: إن النجوم كرات عملاقة من النار معلقة في الفضاء الفارغ أو الخالي، حيث قال ذلك خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد وأُتهم بأن أفكاره لا معقولة وغير مقبولة وغريبة، مع أنه كان يعيش في سياق اجتماعي ثقافي، وكان يمجّد الأساطير والخرافات[3].

([1]) يُنظر: الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي:15-16.

([2]) يُنظر: المرجع السابق: 16-17.

([3]) يُنظر: الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي: 17.

وبناءً على ما تقدّم؛ يُلاحظ أنّ هذه الإرهاصات لاحت في الأفق قبل ظهور التقنية المدمجة (الفنية والعلمية) التي أُستجدت حديثًا بما يُعرف بـ**(أدب الخيال العلمي)**، وهذه الإرهاصات ذُكرت على سبيل التمثيل لا الحصر، وتمثّل جميعها رافدًا أسطوريًّا للخيال العلمي.

وعند تتبع هذا الرافد التاريخي تبيّن للباحثة أن **الأسطورة** أدب إنساني، وهذا النوع من الأدب قد يجنح إلى أن يكون نمطًا من أنماط التفكير العلمي، وهذا ما يؤكد أن الخيال العلمي نشأ من تربة الأساطير في النّصوص الأدبية.

ب–الرافد الطوبائي:

الطوبائية هي المدينة الفاضلة، وتعني الأفكار المثالية التي ترسم صورة لمجتمع قد تُخلّص فيه من كل العلل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الموجودة في عالم الواقع، من خلال (**فكرة التنبؤ**) التي أرست أدب تخيّل المدينة المثلى[1].

ويمثل هذا الرافد (الطوبائي) محاولة تقديم قراءة جديدة؛ للكشف عما وراء الخيال العلمي من أصول تاريخية تمثّلت في بداياته، ويلاحظ ذلك من خلال **الكتابات اليونانية القديمة**، ومن أشهرها: كتاب (الجمهورية) للفيلسوف المعروف أفلاطون، وهي مفتاح لمبادئ الجمهورية الفاضلة الكاملة، حيث تحدّث بشكل متكامل عن النواحي: السياسية والاجتماعية والتربوية والدينية.

وفي **التراث العربي** يُلاحظ على سبيل الإيجاز: كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابي؛ إذ تحدّث فيها عن الصفات التي يجب أن تقوم عليها الدولة، ويتحلى بها الحاكم، والمنهج الذي تسير عليه الرعية ويقودهم إلى السعادة والفلاح. وهناك في نموذج آخر للطوبائي ذو مسحة طائفية– صوفية– وهو كتاب (حي بن يقظان) لابن طفيل، ويُمثّل المدينة الخيالية الفاضلة.

أمّا في **الكتابات الغربية**، فقد تناول المفكر السياسي الإنجليزي توماس مور كتابًا أسماه (يوتيوبيا)، وهذا المصطلح هجين، كما وضح ذلك العديد من النقّاد، ويعني (مكانًا جيدًا)،

([1]) يُنظر: المرجع في روايات الخيال العلمي:147.

وقد دخلت هذه الكلمة اللغة عام 1516م عبر توماس، الذي يصف جزيرة ذات نظام مثالي في مكان ما من العالم الجديد[1].

وتتسم هذه **الطوبائيات** بأسلوب سردي ينعكس على الفرد والمجتمع؛ لكنها استقلت مع الثورة الصناعية الأوروبية في القرن التاسع عشر، وقدحت الثورة بشرارة الخيال العلمي الحديث كما نعرفه اليوم.

وتأسيسًا على ما تقدم؛ يمكن القول إنّ الجانب الديني يُشكل أساسًا رئيسًا لمفاهيم ومضامين أدب الخيال العلمي، في حين أنّ **الأسطورة والطوبائية** يمثلان أبعادًا تاريخية في تطور هذا الأدب، أتت هذه الأبعاد بوصفها ظواهر كونية في ظل غياب التفسير العلمي، وكانت أرضية خصبة لكتّاب أدب الخيال العلمي، الذين انطلقوا لتأسيس هذا النوع من الأدب، والكشف عن الحقائق العلمية والبُعد التنبؤي، وتخمين الواقع عن أحداث المستقبل الممكن، من خلال خصائص معينة، وموضوعات علمية، ووظائف خاصة.

المبحث الثاني: موضوعات أدب الخيال العلمي

تعددت موضوعات سرد الخيال العلمي، وتنوّعت منطلقاتها، وارتبطت بالمجالات الشعبية، والأفلام السينمائية، واعتمدت على التقنيات الفكرية، والفرضيات العلمية القائمة على فكرة (**التجريب**)، والهدف منه معالجة قضايا الواقع المحلي بطريقة علمية تتسم بثيمة (**الغرابة**).

وينبغي الإشارة إلى أن كثرة الموضوعات التي تندرج تحت أدب الخيال العلمي يصعب حصرها وتحديدها، حيث يرتكز أدب الخيال العلمي على المضمون الذي يضمّ عددًا كبيرًا من المواضيع، وستكون هذه الموضوعات على النحو الآتي:

أولًا: السفر عبر الزمن: تُقدّم في إطار الرحلة إلى الفضاء، وهي وسيلة لإبعادنا عن العالم المألوف، ورؤية الأرض من منظور خارجي، ومن هذه الرحلات الفضائية رواية جوزيف أتيرلي بعنوان (رحلة إلى القمر) عام 1827م، التي تحكي قصة ابن تاجر أمريكي ينطلق في رحلة إلى كانتون في الصين، لكن سفينته تتحطّم على ساحل بورما، فيُصادق من بين رفاقه المحليين

([1]) يُنظر: الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا: 73.

كاهنًا يبوح له بسرِّ السفر عبر الفضاء، وبحقيقة وجود سكان على سطح القمر، وتستعرض بقية الرواية تجربة الراوي مع ثقافة سكان القمر تحت توجيه الكاهن[1].

ويدخل ضمنها موضوعات فرعية مثل: مصطلح (**غرباء**)، الذي يتحدّث عن الفضائيين، وتتجلى في قصة (كوكبان) عام 1897م بقلم كورد لاسفيتش، التي تحكي عن أول لقاء بين بشر وكائنات فضائية، حيث يعيش رجال المريخ في القطبين الشمالي والجنوبي، وهم مثلنا تمامًا. ويمكن الإشارة إلى القصة الأشهر في **السفر عبر الزمن** من الحاضر إلى المستقبل (آلة الزمن)، للكاتب ويلز عام 1985م[2]. واعتمد هذا الكتاب في سرده قبل مجيء نظريات آينشتاين التي تعتمد على قوانين الفيزياء.

ثم أتت رواية إسحق عظيموف (نهاية الخلود) عام 1955م، وهي واحدة من أكثر سياحات الخيال العلمي التفصيلية تبكيرًا في السفر عبر الزمن بالمعنى الحرفي، وتعني تغيير مسار التاريخ عن طريق السفر عبر الزمن[3]، وربما يدخل ضمن هذا الموضوع موضوعات فرعية أخرى، مثل: **إعادة الموتى من القبور، وخط الزمن** من الإنترنت، أو الساعة، **والأكوان المتوازية**...إلخ.

ثانيًا: غزو الكون: ويمكن أن نقول: (**حرب النجوم**)، أو (**غزاة الفضاء**)، وهو عرض للكواكب في صورة أمم أو مستعمرات افتراضية، وإسقاط النزاعات على المجموعة الشمسية. وقد أُبتكر مصطلح (**أوبرا الفضاء**)؛ للتعبير عن مغامرة واحتلال استعماري من أجل الإمبراطورية. ويُلاحظ ذلك في رواية روبرت ويليام كول المعنونة بـ:(الصراع من أجل الإمبراطورية) عام 1900م؛ حيث تصوّر هذه الرواية هيمنة الأنجلوساكسونيين، الذين انتقلوا عبر النجوم في سفن فضائية، واندلاع الحرب بين أهل الأرض وأهل نجم الشعري اليمانية، الذي يشبه سكانهُ البشر من جميع النواحي؛ لكنهم يمتلكون تكنولوجيا عسكرية أكثر تقدُّمًا،

([1]) يُنظر: الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًا: 11-12.

([2]) ملف قصص الخيال العلمي، مجلة العربي، العدد 624.

([3]) يُنظر: المرجع في روايات الخيال العلمي: 35-36.

وتدور حرب طاحنة في الكون، يحسم فيها سيطرة الأنجلوساكسونيون على الفضاء، ويقصفون عاصمة نجم الشعري اليمانية؛ مما يؤدي إلى استسلام سريع[1].

وربما يتحدث الكاتب من خلال حرب النجوم عن (**سفن الفضاء**)، وهي إحدى الموضوعات الفرعية تحت غزو الكون لأدب الخيال العلمي، أتت في وصف الأشكال الصاروخية كما في رواية (قوس قزح الجاذبية) لتوماس بنشون، وكذلك وصف الكائنات الفضائية في رواية (أميرة المريخ) لإدجار رايس بوروز. ويمتد موضوع الخيال العلمي إلى (**الجاذبية**)، وتتجلى في رواية (رحلة إلى القمر) بقلم جورج تاكر[2].

ثالثًا: نهاية العالم: ويعني بها (**يوم القيامة**)، ويطلقون عليها (**بعد المحرقة**)، وهي الأرض بعد حرب نووية، أو وباء، أو نضوب الطاقة، أو غرق القارات، ولعلّ قصة جرينفيل (الرجل الأخير) – التي كتبها عام 1805م– تحاكي هذا الموضوع. ومن أشهر الكتب التي تحدثت عن فناء البشرية: كتاب (الرجل الأخير) لماري شيللي، وكتاب (السحابة القرمزية) لجاريت سيرفيس، أمّا قصة (ولد وكلبة) لهارلان إيليسون؛ فحكت عن عالم (**ما بعد المحرقة**)[3].

ويدخل ضمنه موضوع (**الكوارث وما بعد الكوارث**)، ودمار العالم ونهايته، ومن أمثلته رواية الفكلي الفرنسي كامي فلاماريون المعنونة بـ(أوميجا: آخر أيام العالم)، وكذلك روايات (بالارد) في ثلاثية تتمحور حول الزمن: الجزء الأول (العالم الغارق) عام 1962م، والجزء الثاني (العالم المحترق) عام 1964م، والجزء الأخير (العالم البلوري) عام 1966م؛ حيث تناولت هذه الروايات تحديد عالم (**ما بعد الكارثة**)، وقدّمت تصورات سريالية للعالم الذي نعرفه[4].

([1]) يُنظر: الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًا: 16-17.

([2]) يُنظر: ملف قصص الخيال العلمي، (مرجع سابق).

([3]) المرجع السابق.

([4]) يُنظر: الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًا: 113-115.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

رابعًا: الروبوتات والذكاء الصناعي: دخل مصطلح (روبوت) اللغة عام 1920م، عبر مسرحية الكاتب التشيكي (كاريل تشابك)، التي أوحت بالعمل الشاق – بل وبالعبودية– ومع تطور استخدم المصطلح؛ فإنه أصبح يعني (جهازًا صناعيًّا يحاكي أفعال الإنسان، وأحيانًا شكله، قد يعمل ذاتيًّا أو يخضع للتحكّم عن بُعد)، وعلى سبيل المثال: تستحضر قصة سيدني فاولر رايت (الرجال الآليون) – الصادرة عام 1929م– مستقبلًا قاتمًا حلَّ فيه الرجال الآليون محل البشر في انتصار لمسيرة التطور[1].

ويدخل ضمنه موضوع (**الاختفاء**)، ونجدها مع (الرجل الخفي) لويلز، ويأتي موضوع (**السوبرمانات**) التي ابتكرها سيجل ضمن موضوع التقنية. ومن الذين كتبوا عنها بشكل جدي ويلز في (طعام الآلهة) عام 1940[2]. ويدخل موضوع (**الأطباق الطائرة**) التقنية، وهي الأجسام التي تُحلّق في السماء، وتهبط في الأرض وعلى متنها مخلوقات غريبة، وربما تعتدي هذه المخلوقات أو تختطف بعض الأفراد من الأرض.

خامسًا: (مدن المستقبل): تشمل المدن العملاقة، وكذلك المدينة الفاضلة (**اليوتوبيا**)، وقد كتب عنها الفرنسي لوي سباستيان مرسيه عام 1771م، رواية (العام 2440)؛ ليجعل باريس مدينة مستقبلية يوتيوبية، وحلَّت المدينة الفاسدة (**الديستوبيا**) مع مطلع العشرين، وتُسمى أيضًا بـ(اليوتوبيا المضادة). كما يلاحظ ما قدمه ألدوس هكسلي في روايته الشهيرة (عالم جديد رائع من منظور جديد) عام 1958م، حيث لخّص فيه الخصائص الرئيسة التي تميّز المدينة الفاسدة في أدب الخيال العلمي[3]. ورواية (1984) لجورج أورويل، وفي هذه الرواية يُشكّك في كلا النظامين الرأسمالي والاشتراكي، ويتنبأ أن كلًّا منهما سيجنح مستقبلًا نحو نظام شمولي قمعي مُكرّس قبل كل شيء لحماية كيانه هو.

([1]) يُنظر: المرجع السابق: 60-61.

([2]) يُنظر: ملف قصص الخيال العلمي.

([3]) يُنظر: الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا: 82.

سادسًا: (التاريخ البديل)، أو **(العوالم البديلة)**، التي تعني افتراضًا واقعيًّا عن مستقبل غير محتمل أُسّس على معرفة كافية بالعالم الحقيقي والحاضر والمستقبل، وعلى فهم أمين للطريقة العلمية[1]، وقد تُسمّى بـ(العوالم المتعددة)، ومما يمثلها قصة (رقم الوحش 1980) للأديب هاينلاين، وهو مقترح مفهوم (العالم كأسطورة). ومن القصص التي تحدثت عن العوالم التي لا تنتمي إلى عوالمنا (سيد الخواتيم) لتولكين.

المبحث الثالث: خصائص سرد الخيال العلمي

الخيال العلمي مصالحة بين الأدب والعلم اللذينِ حسبهما الكثيرون متعارضينِ، حيث يقوم أحدهما على الخيال، ويقوم الآخر على التجربة والاستقراء[2]؛ لذلك يلاحظ وجه الاختلاف بين الأدب التقليدي وأدب الخيال العلمي، ويمكن إيجادها والكشف عنها من خلال تسليط الضوء على خصائص الشكل الفني.

خصائص سرد الخيال العلمي:

استجاب الأدباء والمفكّرون للثورة التقنية في تصوير التغيرات الاجتماعية؛ إذ اتجه هؤلاء الأدباء والمفكّرون في حقل الخيال العلمي في كتاباتهم، وأتت بطريقة علمية صِرفة بقالب أدبي مدهش، فاعتمدوا على شتى العلوم المعرفية، والثقافة العصرية، والخلفية السياسية، والفلسفة التأملية، والاكتشافات التكنولوجية.

واعتمادًا على ما سبق، يمكن القول: إن سرد الخيال العلمي له خاصية متميزة عن غيره من أنماط التعبير الأدبي، حيث يظهر من خلال توفيق الأديب في اختيار الإطار الفني المناسب لهذا النوع الأدبي، وتتباين الخصائص تبعًا لمهارة الأديب، ويمكن تمييزها وتسليط الضوء عليها في النقاط الآتية:

([1]) ملف قصص الخيال العلمي.

([2]) أدب الخيال العلمي: تعريفه وسماته، منظمة المجتمع العلمي العربي. https://arsco.org/article-detail-528-8-0

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

أولًا: تمتاز لغة السرد في الخيال العلمي بكثرة المصطلحات والنظريات العلمية والغريبة كـ(آلة الزمن) لهربرت جورج ويلز، ونظرية النسبية والكم لآينشتاين، والإنسان الآلي، والاستنساخ وغيره، فلغتها علمية واضحة بعيدة عن التكلّف والتصنّع.

ثانيًا: يتميّز الزمان والمكان في أدب الخيال العلمي بحدوثهما في زمن استشرافي، ويمكن التنبؤ بوقوع أحداث مستقبلية بين الأرض والفضاء والكواكب: أي في اللامكان، أو المكان الوهمي، أو المستقبل الممكن.

ثالثًا: يتسم سرد الخيال العلمي بـ(الألغاز الفلسفية)، وتأثير (الغموض)، وتصوير غير المعقول من خلال الأطباق الطائرة التي تريد غزو الأرض وغيرها، مع اصطناع مواقف للإثارة والإدهاش.

رابعًا: يتقنّع السرد في الخيال العلمي بالمضامين العلمية، وهو وصف موضوعي مباشر بأسلوب علمي، ويُلاحظ ذلك في بواكير إرهاصاتها تتطرق للسياسية والإمبراطورية على الأرض، خاصة في (الطوبائيات)، وهو الحلم بمجتمعات نموذجية.

خامسًا: أتت النهايات المفتوحة في سرد الخيال العلمي، وفي الروايات بشكل خاص، خاصية متفردة؛ لتحدث لدى وعي القارئ نوعًا من الحرية في قراءة النهاية الروائية، ولعل السبب في هذه الدائرة المفتوحة في النهايات لدى مبدعي الخيال العلمي يكمن في ثيمة الخطر، من خلال حرب الكائنات الفضائية على البشر، أو سقوط النجوم على الأرض، أو الإبادة البشرية.

سادسًا: يقوم الخيال العلمي على نمطين: (الغرابة، والاحتمالية) في سرد الأحداث، ويركّز الحدث على ما هو علمي، أو بيولوجي، أو فيزيائي، وله صلة بالقصة أكثر من الواقع.

سابعًا: يُعنى سرد الخيال العلمي بالشّخصيّات الخيالية أو غير الموجودة أصلًا؛ بمعنى وجود شخص يتكيّف مع الخيال العلمي، مثل: كائن فضائي خارج كوكب الأرض، أو روبوت أو كمبيوتر، أو كائنات عملاقة، أو آكلي لحوم البشر. وتعتمد هذه الشخوص على الخصوم والصراع مع الآخر.

ثامنًا: تختلف عناوين روايات الخيال العلمي عن غيرها من الروايات، وهذه العناوين مُستوحاة من التقنية والتكنولوجيا؛ بهدف تغريب القارئ عن عالم الواقع وتقريبه إلى العالم البديل الذي تقدّمه الرواية[1].

تاسعًا: تأثر النصوص السردية بالتجارب الاجتماعية وبيئة مؤلفيها، فالخيال العلمي في تعامله مع القصص التي أوردها كتّابها تختلف من بيئة جغرافية إلى أخرى، فبعض الكتّاب يخلق قصص ممتعة مفيدة لدرجة تطبيقها في الحياة الواقعية، مع أساس علمي للابتكار، بينما يسعى آخرون إلى التأمل الذاتي، أو التعمّق النفسي في المواقف المستقبلية.

عاشرًا: يحتوى سرد الخيال العلمي على مبدأ (**الاستمرارية**)، من القصص والروايات المكتوبة، وتحويلها إلى ملاحم درامية سينمائية ومؤفلمة: أي استمراريتها من السرد إلى السينما والتلفاز.

ومن هذا المنطلق؛ فإن خصائص أدب الخيال العلمي تقوم على تجسيد فكرة التجريب؛ لأنها تتصف بآلية ذات تركيبة مختلفة، يُجرى من خلالها تقديم العمل الروائي، فهي قائمة على اختراق الزمن والمكان عبر وسائل خيالية مبنيّة على نظريات وافتراضات ومرجعيات علمية؛ تُعطي القارئ احتمالات وتفسيرات عن هذه العوالم.

المبحث الرابع: مجالات الخيال العلمي في السرد

الخيال العلمي من خلال معرفتنا العقلية خيال مصوّغ في عالم تخيلي يختلف عن عالمنا الواقعي المحلي، ويكمُن الخيال في كل شيء من حياتنا: في التكنولوجيا، كالاختراعات والابتكارات والإنجازات، ويمكن من خلال هذه النظرة أن نعدّ الخيال العلمي واقعًا خارج حدود الأدب، ويعدّ التفكير الإنساني الباعث للخيال في الأدب، بدءًا من الخرافة والأسطورة، وانتهاءً بالعلم.

واجتماع الفن والعلم بأسلوب التفكير قائم على تعارض الأسس، وتحمل هذه الأسس في طياتها العلاقة بين السرد والخيال العلمي، ومن أجل الكشف عن علاقة السرد بالخيال

([1]) تطور أدب الخيال العلمي في الأدب العربي. https://alketaba.com/

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

العلمي، جاء هذا المبحث يتغيأ التعريف بمسار اتجاهات هذا اللون الأدبي، محاولًا الإجابة عن كيفية توظيف السرد في الخيال العلمي.

اتجاهات سرد الخيال العلمي:

قبل الحديث عن موضوعات سرد الخيال العلمي، وجب بيان كيف سار اتجاه سرد الخيال العلمي لدى كتّاب **الغرب** وأدبائهم لهذا الأدب، فقد ساروا من خلال فهمهم لطبيعة العلم ومعطياته، وإيمانهم بقضايا الإنسان المعاصر، ومدى إمكانية مساهمة العلم في تطويع سرد الخيال العلمي في اتجاهين، وهما[1]:

- الاتجاه الأول: (**اتجاه إنساني**) يوظّف العلم في خدمة الإنسان، ويدعو إلى إزالة ستار التعمية عنه، وحلّ مشاكله الصحية والاجتماعية والحياتية، ويسهم في الإعمار والتنمية خدمة للإنسان، ويمكن التمثيل له بأدب اليوتوبيات المثالية التي تعتمد على الفكر الفلسفي.
- الاتجاه الثاني: (**اتجاه خرافي**) يعتمد على شطحات وقمشات مثيرة وشخصيات سوبرمانية تصنع المعجزات بلا مبرر، ويمكن التمثيل له بما كتب جول فيرن(*)، والذي يعتمد على الفكر العلمي.

ومن خلال الاتجاهات الأدبية العلمية يتبيّن أن الروايات العلمية **الغربية** كانت كثيرة ومتنوعة، ويمكن ذكر بداية كتابة الرواية الخيالية، وتعدّ الرواية الأولى رواية (**آيليتا**) أو غروب المريخ، للكاتب السوفييتي (ألكسي تولستوي)، وهو أول من وضع أسس علم الصواريخ نظريًّا، وكتب هذه الرواية بأسلوب أدبي أخّاذ، وتحدث فيها عن الرحلة إلى المريخ. أما الرواية الثانية فرواية (**آلة الزمن**)، للكاتب الإنجليزي (هـ . ج. ويلز)، وهي أروع ما كُتب في الأدب العلمي، حيث وضع فيها فرضيات علمية دون أن يستند إلى منهج علمي ذي صبغة واقعية،

([1]) يُنظر: في العلم والخيال العلمي: 103.

(*) **جول فيرن**: هو الأب الروحي لأدب الخيال العلمي الحديث، كاتب فرنسي، يعدّ أول من رسم الشكل العام لأدب

وقد أُنتجت فيلمًا سينمائيًّا عام 1960م، وهي آلة عجيبة تنتقل عبر العصور ليُرى فيها مستقبل الإنسان القاتم حيث يشهد دماره بنفسه[1].

أمّا في **الوطن العربي** فقد "نحا الكُتّاب – على ندرتهم– بين هذين الاتجاهين، دون أن يتمثلوا أيًّا منهما... فهم أحيانًا يتخبّطون بكتابات فارغة بلا مضمون، وأحيانًا يهرّبون الأفكار الغيبية (كمصطفى محمود وأنيس منصور)، وأحيانًا يقتربون من أسلوب طرح القضايا والمضامين الإنسانية (كنهاد شريف).."[2].

و**الملاحظ على هذه الاتجاهات** أنها أتت **غربية** بين مسارين: الأول (اتجاه إنساني) يعتمد على الفكر الفلسفي في حلّ المشاكل والأزمات، والثاني: (اتجاه خرافي) يعتمد على الفكر العلمي في صنع المعجزات، وأمّا في **الوطن العربي** فمتخبّط وعشوائي بين الاتجاهين.

وظائف أدب الخيال العلمي: يعتمد الخيال العلمي على طريقة التفكير التي تساعد البشرية على حلّ المشاكل والأزمات الإنسانية، وتسعى إلى تحقيق الطموحات من خلال الابتكار والاكتشاف العلمي المرتبط بالتقنية؛ لذلك ينبغي توضيح الطرق والوظائف التي اشتغل عليها الكثير من الباحثين والكتّاب في أدب الخيال العلمي، وهي كالآتي[3]:

أولًا: الوظيفة الدعائية: يدعو الخيال العلمي بطرق متعددة إلى الإفادة من منجزات العلم النافعة، ومواكبة الاكتشافات العلمية، وضرورة توظيف إمكانات العلم في خدمة البشر ورفاهيته، وتدفع القارئ إلى مواكبة التقنية العلمية.

ثانيًا: الوظيفة الانتقادية: تدور حول جميع الوسائل التي تتشكّل في رفض ما تأتي به بعض الاكتشافات العلمية من مخاطر وأضرار على البشرية، وتسعى أدبيات الخيال العلمي إلى ترويض العقل الهمجي، وكبح جماح قاطرة العلم الذي يهدّد بسلطته على أمن العالم، ومن

الخيال العلمي، بحيث صبَّ اهتمامه على الفكرة العلمية، وأصبحت هي البطلة، حتى قيل عنه: أدب الفكرة. يُنظر: أدب الخيال العلمي: ملابسات النشأة:369-370.

([1]) يُنظر: في العلم والخيال العلمي: 104-108.

([2]) المرجع السابق: 103.

([3]) يُنظر: الخيال العلمي وتحقّق الإبداع الفني في رواية "ملائكة وشياطين، لدان بروان:39-40.

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

تلك الاكتشافات التي يُحذّر منها أدباء الخيال العلمي (الاستنساخ)، و(تهجين الجينات)، التي من شأنها أن تهدّد مستقبل البشرية.

ثالثًا: الوظيفة التنبوئية: تنطلق من التسليم أن إمكانات العلم النافع لا تنتهي، ولا يمكن لها أن تكفّ أو تعجز عن صناعة الرفاهية، وفي هذه الوظيفة يطلق أدباء الخيال العلمي العنان لخيالهم للتنبؤ بشيء من الاكتشافات الجديدة التي تحلم بها البشرية، ولعل هذه الوظيفة التنبؤية هي الأوفر حظًا في سرديات الخيال العلمي بعامة، وقد جعلت الخيال العلمي فرعًا معروفًا باسم أدب المستقبل.

واستخلاصًا لما سبق؛ فإن وظائف سرد الخيال العلمي قائمة على التجريب في نطاق فرضيات علمية، فهي إمّا أن تدعو الإنسان إلى لاستفادة من منجزات العلم؛ **بوصفها دعاية إعلانية** لمواكبة الاكتشافات العلمية، أو تحاول في سردها **إنقاذ البشرية** من المخاطر والأضرار التي تأتي بها بعض التقنيات العلمية، أو يمكن لها **التنبؤ** من خلال إمكانات العلم واكتشافاته بمستقبل تحلم به البشرية.

المبحث الخامس: أعمال سردية في الخيال العلمي

يروج خيال كتّاب الأدب العلمي سرعة انتقال الإنسان عبر الزمن، متأثرين في ذلك بنظرية آينشتاين، ولم يقف خيالهم عند هذا الحد، بل تجاوزا إلى تنقُّل الإنسان في الكون، وتحليقه في عوالم غير مرئية.

وقد استمر حديث كُتّاب أدب الخيال العلمي عن مركبات فضاء مجهولة كـ(الأطباق الطائرة) التي شُهِدَت بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك (سفن الفضاء)، و(الرجل الآلي)، وغيرها من المخترعات العلمية والاكتشافات التكنولوجية التي توصّل إليها الإنسان، وترجمها هؤلاء الأدباء في مغامرات درامية شكّلت سرديات الخيال العلمي.

أولًا: مؤلفات سرد الخيال العلمي في البيئة الغربية:

يعد "**هوجر نسبارك**" واضع عبارة أدب الخيال العلمي (science fiction) سنة 1926م، ويُشير هذا المصطلح إلى المحكيات الروائية أو القصصية التي تتجلى فيها

الافتراضات العلمية والتقنية من خلال البنية السردية، وتتمحور حول حدث يقع عمومًا خارج عالمنا المكاني أو الزماني[1].

ويمثّل السفر عبر الزمن فكرة رئيسة لمضامين الخيال العلمي، وتتيح إمكانات التأمل في طبيعة الزمن، وتمثّل الروايات المشتملة على فكرة السفر عبر الزمن، واحدًا من أقدم مواضيع قصص الخيال العلمي، ولعل أول عمل أصيل من نوع الخيال العلمي للسفر عبر الزمن رواية (آلة الزمن) عام 1985م لـ(**ويلز**)، وكنموذج مثالي على ذلك قصة (**بيتر ديلاكورت**) الشائقة (الزمن بين يدي) 1997م، وفيها يعود المسافر عبر الزمن، محاولًا تبديل التاريخ. وعلى وتر الانحراف عن مجرى تيار الزمن كما في رواية (**روبرت ويلسون**) (الدوران الرابح) عام 2005م، الحائزة على جائزة هوجو؛ حيث يغلّف غزاة خارجون غامضون كوكب الأرض؛ مما من شأنه أن يبطئ من مرور الزمن على الأرض مقارنة بمعدّل انقضائه في سائر الكون[2].

وتعدّ قصص (غزاة الفضاء) من أقدم قصص الخيال العلمي، وتمثّلها رواية (**ويلز**) (حرب العوالم) في عام 1898م، فقد أرسى تقاليد الروايات التي تتناول الغزو من قِبل الكائنات الخارجية، ومن أشهر روايات الغزو من الفضاء الخارجي في خمسينيات القرن العشرين رواية (**جاك فيني**) (غزو خاطفي الأجساد)، التي نُشرت كحلقات مسلسلة في مجلة كولير عام 1954م، ونُشرت لأول مرة في شكل كتاب تحت اسم (خاطفو الأبدان) عام 1955م[3].

ومن الأعمال البارزة في العصر الذهبي لقصص الخيال العلمي قصة (**فان فوجت**)، المُعنونة بـ(المدمر الأسود)، وقد نُشرت في مجلة الخيال العلمي المدهش عام 1939م. ومنها كذلك رواية (النجوم مثل الغبار) لـ(**إسحق عظيموف**) عام 1951م، الذي يُمثّل الرافد الرومانسي للمغامرات الفضائية[4].

([1]) يُنظر: أدب الخيال العلمي بين المصطلح والمقولة الأيديولوجية، مجلة أنفاس نت، 2013/1/2م.

([2]) يُنظر: المرجع في روايات الخيال العلمي: 31-34.

([3]) يُنظر: المرجع السابق: 55- 57.

([4]) يُنظر: المرجع السابق: 79-80.

وتُمثّل مدينة (**ويلز**) الفاضلة اتجاهًا تنبُّئيًا حول المستقبل في رواية (العالم يتحرّر) عام 1914م؛ إذ يرى أن الرغبة في التحرُّر سمةٌ عامة في أدب المدينة الفاضلة[1].

وقد تأسّس أدب الديستوبيا – اليوتوبيا المضادة– مع نصوص ثلاثة جوهرية في الخيال العلمي الحديث، وهي: رواية (نحن) لـ(**يفجيني زامياتين**) عام 1924م، ورواية (عالم جديد شجاع) لـ(**ألدوس هكسلي**) عام 1932م، ورواية(1984) لـ(**جورج أورويل**) عام 1949م. ومن زاوية أخرى، يتضح أن أول رواية في أدب الخيال العلمي في وصف ما بعد الكوارث تمثّلت في رواية (الرجل الأخير) لـ(**ماري شيللي**) عام 1826م، وفيها يجتاح وباء مُهلك بني البشر تدريجيًّا، بينما يقف البطل (المحصّن ضده) متطلّعًا في ارتياب [2].

وأعمال هؤلاء الكتّاب — من باب التمثيل لا الحصر– تُومئ إلى مستقبل باهر في مجال الخيال العلمي، وتُشير إلى تأثر الأدباء بالعصر الصناعي من خلال الاكتشافات العلمية والاختراعات التكنولوجية، التي تهدف إلى تجربة بشرية من وجهات نظر جديدة ومختلفة.

ثانيًا: مؤلفات سرد الخيال العلمي في البيئة العربية:

يفتقد العرب إلى اليوم تأصيلًا نقديًّا عربيًّا لمصطلح (**سرد الخيال العلمي**)، وكان بداية ظهوره في الغرب أولًا، ثُمّ تطور فيها وتنوّعت مواضيعه، ثُمّ تطرق الأدب العربي إليه. ولا يزال هذا الجنس الأدبي في مرحلة مبكرة لدى المبدعين العرب، مع أن أساسه وجذوره وُجد في التراث العربي القديم.

ويمكن الإشارة بإيجاز إلى التراث العربي القديم لهذا الصنف الأدبي، الذي يُعدّه الدراسون مقدمات للخيال العلمي، ومنها كتاب الليالي (ألف ليلة وليلة)، و(حي بن يقظان) لابن الطفيل، و(رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري.

([1]) يُنظر: الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا: 78.

([2]) يُنظر: المرجع في روايات الخيال العلمي: 103- 128.

وفي الأدب العربي المعاصر حاز هذا الصنف من الإنتاج الأدبي على اهتمام الباحثين مؤخرًا، فقد برزت محاولات (**يوسف عز الدين عيسى**) في أربعينيات القرن الماضي[1]، فهو أول من أذاع القصص في الخيال العلمي. ومن جانب آخر، يمكن أن تشير الباحثة إلى أحد الرواد الأوائل في أدب الخيال العلمي، وهو (**توفيق الحكيم**)، فقد كتب أول رواية في هذا المجال بعد انتشار هذا النوع بالغرب بعقود، وأعانته على ذلك سعة اطلاعه على الأدب العالمي، ومن أشهر أعماله في الخيال العلمي (رحلة إلى الغد)، التي طُبعت عام 1958م[2].

ومن أبرز كتّاب سرد الخيال العلمي في روايات على وجه الخصوص (**نهاد شريف**)، ومن أهم رواياته: (قاهر الزمن، والشيء، والذي تحدى الإعصار، وتحت المجهر)[3]. ولا ننسى محاولات (**طالب عمران**) في نشر هذا الصنف من الأدب، حيث كتب أكثر من سبعين رواية في الخيال العلمي العربي، ومنها: (ضوء الدائرة المعتمة، وثقب في جدار الزمن)[4]. ويمكن أن

([1]) **محاولات يوسف عز الدين عيسى (1914–1999م)**: مسرحية "عجلة الأيام" التي أذيعت في الإذاعة المصرية عام 1940م، اتسمت هذه المسرحية ببعد فلسفي خيالي في قالب كوميدي، كما قدّم أعمالًا أخرى لاحقًا مثل:" الرجل الذي باع رأسه"، و"الواجهة"، و "لا تلوموا الخريف"، لكن "عجلة الأيام" تظل علامة فارقة في بدايات الخيال العلمي العربي. يُراجع: تطور أدب الخيال العلمي في الأدب العربي، للمزيد من الاطلاع يُراجع: الخيال العلمي مصطلحات وأسماء، :50.

([2]) يُنظر: الخيال العلمي في الأدب المعاصر، مجلة أقلام الهند، السنة الثالثة، ع(4)، أكتوبر– ديسمبر 2018م.

([3]) **من روايات نهاد شريف:** رواية" قاهر الزمن" صدرت عام 1972م، عن دار الهلال، القاهرة، وتدور حول تجارب سرية لتجميد إنسان في فيلّا منعزلة، وتطرح أسئلة حول أخلاقيات العلم ومصير البشرية. أمّا رواية "الذي تحدى الإعصار" صدرت عام 1981م ،و رواية "الشيء" صدرت عام 1989م، تتناول موضوعات علمية، نشرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، أمّا رواية "تحت المجهر" صدرت عام 2006م، من مركز الحضارة العربية، القاهرة، تدور حول كائنات متناهية الصغر لا يمكن رؤيتها إلا بالمجهر الالكتروني. يُراجع: من رواد الخيال العلمي.. نهاد شريف، صحيفة الثورة، العدد 1109، 30أغسطس 2022م.). للمزيد من الاطلاع يُراجع: الخيال العلمي مصطلحات وأسماء:45-46.

([4]) **روايات طالب عمران:** روايته "ضوء في الدائرة المعتمة" صدرت عام 1983م، عن دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، وهي عبارة عن مجموعة قصصية من الخيال العلمي، تتناول مواضيع تتعلق بالتكنولوجيا ، المستقبل، والتساؤلات الفلسفية حول الإنسان والعلم، ورواية " ثقب في جدار الزمن" صدرت عام 1992م، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، وهي عبارة عن مجموعة قصصية من الخيال العلمي، تتناول موضوعات السفر عبر الزمن، واستكشاف العوالم الموازية. للمزيد من الاطلاع يُراجع: الخيال العلمي مصطلحات وأسماء: 50.

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

نذكر إسهام (**أحمد خالد توفيق**) في أدب الخيال العلمي، فقد برع في كتابة أدب الرعب بالمجالات المختلفة، مثل: الخيال العلمي، والأسطورة، والفانتازيا، كما أن رواية (يوتوبيا) تحتل مكانة عربية مرموقة، وتدور أحداثها في المستقبل[1].

وينبغي الإشارة إلى مسألة (**التأثير والتأثر**) لدى العديد من كُتّاب الخيال العلمي العرب بكتّاب الغرب، وعلى سبيل المثال، فقد تأثر نهاد شريف بالكاتب الأمريكي إدجار ألان بو، وأثرت كتابات جورج أورويل في رؤوف وصفي، كما أثرت كتابات جورج ويلز في طالب عمران، وأُقتبست بعض الأفكار التي لم تكن إبداعًا خالصًا مثل: فكرة (آلة الزمن) في أعمال توفيق الحكيم، وفكرة الكائن الغريب (الشيء) في أعمال نهاد شريف[2].

خاتمة البحث

تناولت هذه الدراسة البحث عن (**السرد وعلاقته بالخيال العلمي**)، وقد حاولت الباحثة الكشفَ عن هذه العلاقة، من خلال معالجتها الإشكاليات الجزئية المرتبطة بشكل كبير بفكرة التداخل بين (العلم والخيال) ضمن (سرد الخيال العلمي)، كما سعت الباحثة إلى الكشف عن الروافد التاريخية التي أسهمت في علاقة السرد بالخيال العلمي، كما تناولت موضوعات سرد الخيال العلمي، وخصائصه، واتجاهاته، ووظائفه، وأهم الأعمال السردية في الخيال العلمي بين البيئتين الغربية والعربية.

وقد أثمر البحث عن عدد من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1- قامت **علاقة السرد بالخيال العلمي** على التداخل والاندماج بين مجالين مختلفين (الخيال والعلم)، **فالخيال** عملية فطرية تنتج صورة ذهنية جديدة عن الواقع، بينما **العلم** عملية مكتسبة؛ وهو مُحصّلة للبحث الإنساني من قواعد وقوانين وحقائق مُتصلة بالواقع.

([1]) يُنظر: الخيال العلمي في الأدب المعاصر. للمزيد من الاطلاع يُراجع: الخيال العلمي مصطلحات وأسماء: 36.

([2]) يُنظر: تطور أدب الخيال العلمي في الأدب العربي

2- لم يحظَ **سرد الخيال العلمي بتعريف شافٍ وشامل** عند الغرب والعرب على حدٍّ سواء؛ لأنه مفهوم متغيّر غير ثابت، يمتاز بقابليته للتطور، وقدرته على الاستمرارية؛ لذلك يصعب وضع تعريف محدد له.

3- كسر **السرد** قديمًا القوالب السردية والبحث عن الاختلاف، والخارج عن المألوف، من خلال الأساطير، والطوبائيات، والفنتازي، وغيرها، ويتداخل السرد مع **الخيال العلمي** في كونهما خطابًا متخيلًا؛ لكنّ الخيال العلمي ينبثق من **روافد سردية تاريخية لافتراض العلم نحو سرد المستقبل الممكن**، ولإعطاء القارئ تفسيرات واحتمالات لما هو خارج عن المألوف، ويكون في أساس موضوعه العلم.

4- ارتكزت **الأسباب التي أدّت إلى ظهور سرد الخيال العلمي** على تلازم الخيال والحاجة إليه، **بوصفها أسبابًا حقيقة**، وظهور الثورة الصناعية الأوروبية وما نتج عنها **بوصفها أسبابًا علمية** أثبتت وجودها، معلنة مرحلة جديدة في الأدب.

5- ساهم الرافد **الديني** في تشكيل ملامح ومفاهيم أدب الخيال العلمي، دون أن يشكّل مصدرًا أساسيًا لانبثاق هذا الأدب أو نشأته، في حين أتت **الروافد التاريخية (الأسطورة والطوبائية)** بوصفها ظواهر كونية مهّدت بعد غياب التفسير العلمي لحضور جنس أدبي جديد هو (سرد الخيال العلمي)؛ حيث كانت **الأسطورة** هي الأرضية الخصبة لانطلاق أدباء هذا اللون الأدبي، وارتبطت **الطوبائية** بالثورة الصناعية وكانت بمنزلة المفتاح لأدباء الخيال العلمي الحديث.

6- **يصعب حصر موضوعات سرد الخيال العلمي**؛ نظرًا لتنوّع منطلقاتها، وتشابه مضامينها، ولا يمكن وضع مقياس يحدّد فروعها؛ لأنه يمكن الخلط بينها، حيث قامت على فكرة (**التجريب**)، وقُدّمت بطريقة تتسم بـ(**الغرابة**).

7- ارتكزت **خصائص سرد الخيال العلمي** على تجسيد الطابع العلمي والتكنولوجي في عتاباتها، فكانت اللغة واضحة، والأسلوب موضوعيًّا، والعناصر الفنية مكثفة بـ(الألغاز، والغموض، والإثارة، والإدهاش)، واعتمدت البنية الخطابية على الغرابة والاحتمال في سرد

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

الأحداث، وعلى الشخوص الافتراضية في الصراع مع الآخر، والنهاية المفتوحة؛ وذلك لما يحمله سرد الخيال العلمي من مضامين الخطر والخوف على البشرية من التقنية.

8- أتت **اتجاهات سرد الخيال العلمي** غربية بين مسارين، الأول: **(اتجاه إنساني)** يعتمد على الفكر الفلسفي في حلّ المشاكل والأزمات، والثاني: **(اتجاه خرافي)** يعتمد على الفكر العلمي في صنع المعجزات، أمّا الخيال العلمي في السرد العربي؛ فحضر عشوائيًّا ومتخبطًا بين المسارين.

9- شكّلت **مجالات توظيف السرد في الخيال العلمي** دعاية إعلانية للإنسان في مواكبة التقنية العلمية، ولإنقاذ البشرية من الخطر المحتمل الذي تأتي بها بعض التقنيات العلمية، والتنبؤ بمستقبل تحلم به البشرية.

10- تأثرت **الأعمال السردية في الخيال العلمي الغربي** بالعصر الصناعي، والهدف منه تأمل التجربة الإنسانية من وجهة نظر مختلفة وجديدة، بينما وردت معظم **أعمال السرد في الخيال العلمي العربي** على أساس أنها مقدّمات علمية في التراث العربي القديم، وجاءت لدى العرب في العصر الحديث مصبوغة ومتأثرة بالأفكار الغربية.

11- معظم أعمال **الخيال العلمي العربي** جاءت متأثرة **بالفكر الغربي**، وأن معظم كُتّابنا العرب كان لهم خلفيات علمية وصلات بالغرب بالسفر، أو الدراسة، أو العمل؛ مما يؤكّد أن سرد الخيال العلمي العربي مصبوغ بشكل كبير بنظيره الغربي.

مراجع البحث

إبراهيم، عبد الله، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2000م.

الأحمر، فيصل، خرائط العوالم الممكنة في الاقتراب من الخيال العلمي العربي، دار فضاءات، عمان، ط1، 2019م.

عبد الحميد، شاكر، الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي، الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، 2009م.

عزام، محمد، الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس، ط1، 1994م.

عصفور، جابر، الخيال أسلوب الحداثة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009م.

عمران، طالب، في العلم والخيال العلمي، منشورات الثقافة، 1989م.
عيطو، لمياء، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر: دراسة تقليدية، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2013.
فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1992م.
قاسم، محمود ، الخيال العلمي مصطلحات وأسماء، ط1، المكتبة الأكاديمية مصر-القاهرة، 2009م/1429هـ.
الكردي، عبد الكريم، السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجًا)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1413-1992م.
مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية- مصر، ط1425،4هـ-2004م.
منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط.
وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان- بيروت، ط2، 1984م.

ثالثًا: الكتب المترجمة من الإنجليزية إلى العربية:

برنس، جيرالد، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد البريري، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م، ط1.
بوكر، م. كيث، وآن ماري توماس، المرجع في روايات الخيال العلمي، ترجمة: عاطف يوسف محمود، المركز القومي، ط1، 2010م.
جيرار خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.
سيد، ديفيد، الخيال العلمي: مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي، ط1، 2016م، القاهرة- مصر.
مانفريد، يان، علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، مكتبة بغداد، دار نينوى.

رابعًا: الكتب الإنجليزية:

The New Oxford: Judi pearsall, oxford University, press, 1999.-

خامسًا: الرسائل العلمية

بسمة، كرود، وشباح عائشة، الخيال العلمي وتحقق الإبداع الفني في رواية "ملائكة وشياطين، لدان بروان، أطروحة ماجستير في اللغة والأدب العربي، الجزائر، 1439هـ-2018م.

سادسًا: الصحف والمجلات:

بومعزة، فاطمة، فيصل لحمر، أدب الخيال العلمي ملابسات النشأة، مجلة سيميائيات، مج (17)، ع(2)، مارس2022م.
توفيق، أحمد خالد، ملف قصص الخيال العلمي، مجلة العربي، ع (624).

خلوفي، سعيدة، أدب الخيال العلمي بين المصطلح والمقولة الأيديولوجية، مجلة أنفاس نت، 2013/1/2م.

عبد الحنان، محمد، الخيال العلمي في الأدب المعاصر، مجلة أقلام الهند، س3، ع(4)، أكتوبر- ديسمبر 2018م.

يونس، وفاء، من رواد الخيال العلمي.. نهاد شريف، صحيفة الثورة، العدد 1109، 30أغسطس 2022م.

سابعًا: المو اقع الإلكترونية:

إبراهيم عبد الله، موسوعة السرد العربي، كتاب الإلكتروني. https://www.dohadictionary.org/dictionaryl

العمري، عبد الحفيظ، أدب الخيال العلمي: تعريفه وسماته، منظمة المجتمع العلمي العربي. https://arsco.org/article-detail-528-8-0

مصطفى، نشوة، تطور أدب الخيال العلمي في الأدب العربي، موقع الكتابة الثقافي. https://alketaba.com/

(تاريخ استرجاع المواقع الإلكترونية : 30فبراير2025م، في تمام الساعة الثامنة مساءً).